تعليم اللغة العربية في المدارس التركية

د. عمر إسحاق أوغلو

بين الأتراك والعرب روابط تاريخية وثقافية عميقة قائمة على الثقافة الإسلامية المشتركة. لقد نشأت الثقافة التركية ـ الإسلامية بعد اعتناق الأتراك للإسلام في عهد القراخانيين الذين اتخذوا الحروف العربية في كتابة لغتهم التركية، وبذلك احتلت لغة القرآن مكانة مرموقة في حياة الأتراك. إذ كانت اللغة الرسمية للدولة التركية في الأناضول هي اللغة العربية وذلك حتى القرن الثاني عشر. وقد احتفظت اللغة العربية بهذه المكانة حتى القرن الثالث عشر قبل أن تحل محلها اللغة الفارسية تدريجيا. كانت المدارس التقليدية هي المؤسسات التعليمية الوحيدة في الدولة السلجوقية. وكانت لغة التعليم فيها هي اللغة الفارسية. أما تعليم النحو والصرف العربيين في تلك المدارس فكان جاريا لغرض استيعاب الكتب الدينية والمراجع الإسلامية الرئيسة. لذلك فإن الهدف المنشود من تعليم اللغة العربية لم يكن لتعليم اللغة نفسها بل لترسيخ التعليم الديني بوساطة لغة القرآن.

أما العهد العثماني فمن الممكن دراسته من ناحية تعليم اللغة العربية في مرحلتين؛

- الأولى مرحلة ما قبل تأسيس المدارس الرسمية: كانت لغة التعليم خلال هذه المرحلة هي اللغة العربية، إلا أن الهدف من تعليم اللغة العربية ليس إلا فهم الكتب المدرسية السارية في ذلك الوقت، واستيعاب المصادر الإسلامية الرئيسة من تفسير وحديث وفقه إسلامي. وكان تعليم اللغة العربية يعتمد على تعليم القواعد النحوية والصرفية عن طريق حفظ كتب الصرف وكتب النحو. وكانت طريقة التعليم هي تدريس الكتب ثم قراءتها عن ظهر القلب. وهي طريقة تقوم على الاستدلال حيث تعطى القواعد أولا وتليها بعض الأمثلة العشوائية وبمعزل عن السياق اللغوي غالبا. ولم تكن لهذه المدارس مناهج دراسية معتمدة من قبل إحدى الجهات الرسمية في ذلك الوقت. فكانت معلومات طلابها مقتصرة على فحوى الكتب من قواعد وعلل معظمها غير عملية. وبذلك فكانوا يتعلمون معلومات عن اللغة العربية وليست اللغة العربية نفسها. وبذلك فتعليم اللغة العربية في تلك المرحلة أشبه بتعليم اللاتينية والإغريقية لدى الغرب في العصور القديمة.

- مرحلة المدارس الرسمية: في هذه المرحلة تم ولأول مرة تأسيس مدارس رسمية على المستوى المتوسط تابعة لـنظارة المعارف (وزارة التربية) في الوقت الذي واصلت فيه المدارس التقليدية التي تمولها الأوقاف دراستها على المنهاج القديم الآنف الذكر. وكانت دراسة اللغة العربية في هذه المدارس الجديدة تجرى كمادة مساندة لتعليم التركية العثمانية بجانب اللغة الفارسية. وقد جرى تعليم اللغة العربية في هذه المدارس الجديدة في إطار تعليم قواعد الصرف والنحو العربيين التي من شأنها تسهيل

دراسة التركية العثمانية التي أصبحت لغة مختلطة من التركية والعربية والفارسية من ناحية ثروة الكلمات والتراكيب اللغوية والبناء. ومن السهل تقويم أسباب فشل تعليم اللغة العربية في هذه المدارس إذا أخذنا بعين الاعتبار عدم تمكن معلمي تلك المدارس من إجراء أسهل حوار ثنائي مع أبناء العرب في عهدهم. لذلك لم تكن حالة تعليم اللغة العربية في هذه المدارس الجديدة مختلفة عن التعليم الجاري في المدارس التقليدية. البحث عن مناهج جديدة ظل تعليم اللغة العربية في المدارس التقليدية كما هو، خلال مرحلة المدارس الرسمية التي ظهرت فيها جهود فردية في سبيل تسجيل خطوات ناجحة في تدريس اللغة العربية. فعلى سبيل المثال كان الحاج إبراهيم أفندي، وهو مؤسس مدرسة دار التعليم الابتدائية الخاصة، ذائع الصيت بفضل طريقته الجديدة في تعليم اللغة العربية لتلاميذ هذه المدرسة. وعليه فقد أصدر السلطان والحكومة أوامرهما لتطبيق وتطوير تعليم اللغة العربية بطريقة الحاج إبراهيم أفندي الذي يقوم على شرح قواعد الصرف والنحو العربيين شرحا وافيا ليسجلها الطلاب بعد ذلك في كراساتهم، وبالتالي إجراء تدريبات كافية حول القاعدة المشروحة من قبل الطلاب. وكانت كل حصة تتضمن مراجعة الدرس السابق وتعلم قواعد لغوية جديدة ثم حفظها، فضلا عن توجيه الاهتمام لمهارات التحدث والترجمة من التركية إلى العربية. إلا أن هذه الطريقة لم تكتسب إقبالا شاملا وظلت مجهودا فرديا.

تعليم اللغة العربية من تأسيس الجمهورية التركية إلى يومنا تركزت الجهود في عهد مصطفى كمال أتاتورك على تطوير التعليم على المستوى الابتدائي، الأمر الذي أدى إلى تكثيف الجهود على تعليم اللغة التركية التي أصبحت عنصرا أساسيا من عناصر القومية التركية. وقد صدر في ضمن هذه الجهود قانون توحيد التعليم الذي تم بموجبه توحيد جميع المؤسسات التعليمية والتربوية تحت رعاية وزارة التربية الوطنية والقاضي بإلغاء المدارس التقليدية التي سبق ذكرها. وكانت هذه الفترة بمثابة فترة ركود بالنسبة لتعليم اللغة العربية في جمهورية تركيا. إلا أنه في أعقاب الخمسينيات حيث انتشرت مدارس الأئمة والخطباء في أنحاء البلاد، أصبحت اللغة العربية تدرس في هذه المدارس كمادة دراسية مساندة لمواد أخرى من تفسير وحديث وفقه وغيرها من المواد المهنية.

نبذة من تاريخ ثانويات الأئمة والخطباء:

افتتحت ثانويات الأئمة والخطباء باسم مدارس الأئمة والخطباء بقرار لجنة المدراء برقم 601 في تاريخ 1951/10/13 تابعةً لوزارة التربية والتعليم على أن تكون مدة الدراسة فيها سبع سنوات بما فيها المرحلة المتوسطة (أربع سنوات) والمرحلة الثانوية (ثلاث سنوات) في عدة مدن بتركيا ووصل عدد هذه المدارس في تاريخ 1958/8/14 إلى تسع عشرة مدرسة.

وقد استمرت الدراسة في هذه المدارس على هذا النظام إلى أن تدخل الجيش في السياسية بتاريخ 1971/3/12 وألغيت المرحلة المتوسطة بقرار الحكومة الجديدة فأصبحت مدة الدراسة فيها أربع

سنوات بدء من العام الدراسي 1971- 1972 ولم يستمر هذا الوضع إلا سنتين حينما جاءت الحكومة الإئتلافية الجديدة في سنة 1973 أعادت المرحلة المتوسطة من جديد فأصبحت مدة الدراسة فيها سبع سنوات بدءً من العام الدراسي 1974-1975 على أن تكون المرحلة المتوسطة ثلاث سنوات والمرحلة الثانوية أربع سنوات.

وقبل مجيئ هذه الحكومة الإئتلافية حول اسم مدارس الأئمة والخطباء إلى ثانويات الأئمة والخطباء في تاريخ 1973/6/24 بقرار وزارة التربية والتعليم برقم 14574 بموجب رقم 32 من القانون الأساسي التعليمي القومي الوطني. استمرت مدة الدراسة في هذه الثانويات سبع سنوات على النظام المذكور إلى سنة 1997 م.

لما رجع الجيش التركي إلى ميدان السياسة من جديد وتدخل في النظام السياسي ألغت الحكومة الجديدة المدعومة من قبل الجيش المرحلة المتوسطة من ثانويات الأئمة والخطباء بتاريخ 1997/8/15 بقرار مجلس النواب فأصبحت مدة الدراسة فيها أربع سنوات على أن تكون السنة الأولى تحضيرية. ولكن الحكومة الموجودة الآن أعادت المرحلة المتوسطة من جديد وبدأ التدريس فيها العام الدراسي 2012-2013.

النظام الدراسي بثانويات الأئمة والخطباء:

تستقبل ثانويات الأئمة والخطباء طلابها من مواطني الجمهورية التركية أبناءً أو بناتا الحاصلين على شهادة الدراسة الأساسية الإجبارية لمدة ثماني سنوات وتستقبل طلابها من أبناء وبنات العالم الإسلامي الحاصلين على الدراسة المتوسطة (الكفاءة) أو ما يعادلها. وتسهر على إعدادهم علميا وتربويا ليكونوا مؤهلين للإلتحاق بكليات جامعات تركيا وجامعات دول أخرى. ومدة الدراسة فيها أربع سنوات تتضمن السنة التحضيرية لتعليم اللغة العربية خلال السنة الأولى. أما في السنوات الثلاث التالية فيتم تدريس اللغة العربية من خلال أربع حصص أسبوعيا كل سنة.

إن تعليم اللغة العربية في هذه الثانويات لم يحقق النجاح المطلوب وذلك لعدة أسباب، من أبرزها عدم توافر المؤهلات الدراسية عموما لدى معلمي مادة اللغة العربية لكون معظمهم متخرجين في كليات الإلهيات التي ليست من تخصصها تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها. ولا يزيد عدد معلمي مادة اللغة العربية المتخرجين في أحد أقسام اللغة العربية وآدابها بالجامعات على معلم فقط. كما أن عدم توافر مواد دراسية مناسبة لتدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها وبالأحرى لتدريسها للأتراك، يؤدي دورا سلبيا في تسجيل خطوات في تعليم اللغة العربية.

وهناك خمسة آلاف مدرسة قرآنية لتعليم القرآن الكريم وتحفيظه مع تعليم الطلاب دروسا في اللغة العربية والعلوم الشرعية، وأكثر المدارس القرآنية هذه رسمية لأنها تابعة لرئاسة الشؤون الدينية التركية غير أن هناك عددا قليلا منها غير رسمية تابعة للمؤسسات الأهلية الخاصة مثل بعض الأوقاف

الإسلامية . ويتخرج في المدارس القرآنية كل سنة ما يقارب خمسة آلاف حافظ لكتاب الله عز وجل حفظا جيدا متقنا غير الباقين الذين يحفظون حفظا عاديا.

سياسة الانفتاح على العالم العربي، التي تبنتها الحكومة التركية برئاسة رجب طيب أردوغان، وإقبال المواطنين العرب من جميع الدول العربية على زيارة تركيا زادت من اهتمام الأتراك باللغة العربية، وأصبحت الحاجة ماسة إلى من يجيد اللغة العربية في جميع المجالات الدبلوماسية والاقتصادية والإعلامية والسياحية وغيرها. وما زال البحث عن حلول لسد هذه الحاجة في أقرب وقت ممكن مستمرًّا.

ومن تلك الحلول، تدريس اللغة العربية في المراحل المبكرة بالمدارس التركية. وفي هذا الإطار، اتخذت وزارة التربية التركية العام الماضي قرارًا يقضي بتدريس اللغة العربية في المرحلتين الابتدائية والمتوسطة كلغة اختيارية على غرار اللغات الأجنبية الأخرى مثل الإنجليزية والفرنسية والإسبانية والإيطالية والصينية واليابانية والروسية. وبدأ تطبيق المرحلة الأولى لهذا القرار بدءًا من بداية العام الدراسي الحالي بتدريس اللغة العربية في الصفين الرابع والخامس الابتدائيين، على أن تتم المرحلة الثانية في عام 2013- 2014 الدراسي بتدريسها في جميع صفوف المتوسطة.

قرار وزارة التربية التركية بتعليم اللغة العربية في المدارس الابتدائية والمتوسطة قرار حكيم وخطوة إستراتيجية في الاتجاه الصحيح ستسهم في جهود التقارب العربي التركي وتزيد التبادل الثقافي والمعرفي وتعزيز العلاقات التركية العربية وتعود على البلاد في المجالات كافة بالنفع الكبير.

لم يكن الدافع الوحيد في اتخاذ القرار بتدريس اللغة العربية في المرحلتين الابتدائية والمتوسطة الإسهام في سد حاجة القطاعات الحكومية وغير الحكومية إلى من يجيد اللغة العربية، بل من أهداف هذا القرار أن يتمكن التلاميذ من تعلم قراءة القرآن الكريم من خلال مادة اللغة العربية قبل التخرج من المرحلة الابتدائية؛ لأنهم لم يكونوا يجِدون وقتًا كافيًا لتعلم قراءة القرآن الكريم إلا في العطل الصيفية التي هم بأمَسِّ الحاجة إليها للراحة واللعب والاستجمام.

وهناك مشاريع أخرى تهدف إلى تطوير تعليم اللغة العربية ونشرها، ومن هذه المشاريع إقامة مسابقات اللغة العربية بين طلاب مدارس الأئمة والخطباء، لتشجيعهم على إتقان اللغة العربية. وأقيمت السنة الماضية في مدينة إسطنبول المسابقة العالمية الثالثة للغة العربية، برعاية مديرية التربية الدينية التابعة لوزارة التربية التركية، وبمشاركة طلاب وطالبات من تركيا ودول البلقان مثل اليونان وبلغاريا ومقدونيا والجبل الأسود وألبانيا والبوسنة والهرسك وصربيا وكوسوفو ورومانيا وكرواتيا، كما أقيم حفل توزيع الجوائز للفائزين في مسابقات المعلومات اللغوية وإلقاء الشعر والخطابة والنشيد والمسرح.

اللغة العربية يتم تدريسها منذ سنين في مدارس الأئمة والخطباء، إلا أن طريقة تعليم اللغات الأجنبية عمومًا واللغة العربية على وجه الخصوص ضعيفة وبحاجة إلى التطوير حتى يتمكن الطالب من القراءة والكتابة والمحادثة باللغة العربية، بدلاً من حفظ القواعد وبعض الكلمات فقط لينساها فيما بعد. وإذا كان مدرس مادة اللغة العربية نفسه لا يستطيع أن يتحدثها فكيف يُنتظر منه أن يعلمها طلابه؟ وزارة التربية التركية قامت بوضع منهج جديد لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، ولكن عدم وجود عدد كافٍ من المدرسين المتمكنين لتدريس المنهج الجديد كما ينبغي ما زال يشكل معضلة تحول دون الوصول إلى الهدف المنشود.

إن المشكلات والصعوبات التي تعانيها المدارس في تركيا بالنسبة لتعليم اللغة العربية: لا يوجد مختبر لغوي لأي من هذه الأقسام، ولا مكتبة تشمل كتبا باللغة العربية يستفيد منها الطالب لتطوير مهاراته اللغوية. فان إمكانات الطالب لقراءة رواية أو قصة عربية مقتصرة على ما يوفره له المحاضر أو عضو التدريس بإمكاناته المحدودة. لذلك فإن مسؤوليات كبيرة تقع على عاتق سفارات الدول العربية وبخاصة الملحقيات الثقافية المعتمدة لدى تركيا لإقامة حوار ـ على أقل تقدير ـ مع تلك الأقسام للبحث عن السبل الكفيلة بتزويد الطلاب وأعضاء التدريس على حد سواء بكتب ومواد دراسية باللغة العربية، وتنسيق ندوات أكاديمية مشتركة بين الكوادر العلمية، وتنظيم أسابيع ثقافية متبادلة، وتنسيق مشاريع تعليمية مشتركة وغيرها من النشاطات التي من شأنها دفع عجلة تعليم اللغة العربية تمشيا مع المناهج والطرق الحديثة.

تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في الوقت الحاضر أسهل بكثير مما كان في السابق، لتوافر وسائل الاتصال والتواصل المرئية والسمعية وكثرتها، ما يعطي الطلاب والطالبات فرصة الممارسة في الكتابة والمحادثة والتعبير من خلال مواقع التواصل الاجتماعي، بالإضافة إلى مشاهدة البرامج المختلفة عبر القنوات الفضائية العربية. أما مشكلة ضعف مستوى المدرسين لمادة اللغة العربية فيمكن حلها بطرق عدة، ومن الحلول المقترحة على المدى القريب إقامة دورات التأهيل المكثفة بالتعاون مع المعاهد العربية، يقوم فيها الأساتذة العرب برفع مستوى المدرسين الأتراك وتدريبهم على تدريس اللغة العربية، أو إرسال أكبر عدد منهم إلى الجامعات العربية للدراسة في معاهد تعليم اللغة العربية لمدة سنة أو سنتين، أو استقدام المدرسين العرب لتدريس مادة اللغة العربية إلى أن يتأهل المدرسون الأتراك للقيام بهذه المهمة.

المصادر والمراجع

- الأخطاء اللغوية التحريرية لدارسي اللغة العربية من الطلبة الأتراك (رسالة الماجستير) نجمي حسين صاري ، جامعة الملك سعود ، معهد اللغة العربية ، قسم إعداد المعلمين.
- التعليم الديني في تركيا ،خالص آيهان، منشورات وقف الإلهيات لجامعة مرمرة، اسطنبول، 1999.
- المشاكل المنهجية في تعليم اللغة العربية والمقترحات لحلولها، جان دمير دوغان، مجلة النسخة، العدد 21، أنقرة، 2006.
- اللسان العربي: الهوية والأزمة والمخرج، عبد الوارث مبروك سعيد، مكتبة الوفاء، مصر
- تعليم اللغة العربية في تركيا: بالأمس واليوم، محمد حقي صوتشين http://www.bab.com/node/8596
- برنامج تعليم اللغة العربية في المدارس الابتدائية والثانوية، وزارة التربية، أنقرة، 2011.
- محاضرات الندوة حول تعليم اللغة العربية في ثانويات الأئمة والخطباء، اسطنبول، 24-25 كانون الثاني 2011.